الاقتصاد الخفى (غير المشروع)

فى ميزان الإسلام

إعـــــــــداد

دكتور / حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ـ مدلول الاقتصاد الخفى ونظرة الإسلام إليه .

يحكم المعاملات الاقتصادية مجموعة من القواعد والنظم والضوابط الشرعية والقانونية والتى تحفظ حقوق المتعاملين وحقوق المجتمع ، وعندما لا يتم الالتزام بها يحدث الخلل والفوضى والتى ينجم عنها الاعتداء على حقوق الناس والمجتمع ، ومن المعاملات غير الشرعية والقانونية التهرب من أداء الضرائب والرسوم والتعامل غير المشروع بكافة صورة وسبله ، وهذا يعتبر أحد نماذج الاقتصاد الخفى وهى محرمة فى الإسلام .

وتأسيساً على ما سبق يوجد فئتين من المتعاملين فى المجتمع :

[أ] ـ فئة ملتزمة بالقانون والشرع : وهى التى تمثل الاقتصاد الرسمى الظاهر وهى حلال متى كانت طبقاً للشرع .

[ب] ـ فئة غير ملتزمة بالقانون والشرع :وهى التى تعمل فى الخفاء بعيداً عن القانون وفى المجالات التى منعها القانون والشرع وما أكثرها وهى حرام .

وكلما زاد حجم معاملات الاقتصاد الخفى يترتب على ذلك الظلم الاقتصادى والسياسى والاجتماعى ، والتهرب من أداء مسئوليته تجاه المجتمع والوطن ، وتحاول معظم التشريعات الحد من الاقتصاد الخفى وتفرض العقوبات الرادعة لمن يمارسه ولكن للأسف لم تحقق ما تصبو إليه من مقاصد ، وأصبح الاقتصاد الخفى يمثل نسبة عالية جداً قد تصل إلى ٣٠ % من حجم الدخل الكلى فى البلاد المتخلفة .

من نماذج معاملات الاقتصاد الخفى التى يجب تجنبها لأنها مخالفة لأحكام ومبادىء الشريعة الإسلامية .

[١] ـ مباشرة الأعمال بدون سجل تجارى أو بطاقة ضريبية وبذلك لا يقوم رجل الأعمال بسداد الضرائب العادلة المستحقة عليه تجاه الدولة وهذا يمثل خطراً على الآخرين .

[٢] ـ مباشرة الأعمال بدون موافقات أو رخص صناعية أو طبية وما فى حكم ذلك وهذا بدوره يتهرب من الرقابة الصناعية والخدمية .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[٣] ـ تهريب السلع والبضائع خلف الحدود والموانى وبذلك يتهرب رجل الأعمال من سداد الجمارك والضرائب وهذا يُحدث خللاً فى المعاملات فى الأسواق .

[٤] ـ التهرب من التأمين على العمال لدى التأمينات الاجتماعية وبذلك يضيع حقوق العمال ويحدث ضرراً بهم .

[٥] ـ الرشوة والإكراميات والعمولات والسمسرة المشبوهة التى تعطى للموظفين والعاملين فى الوحدات والمصالح الحكومية نظير تسهيل أعمال ومعاملات شرعية وغير قانونية وهذا يؤدى إلى فساد الذمم وانتشار الفساد .

[٦] ـ التجارة فى سلع وخدمات محرمة قانوناً وشرعاً مثل المدمنات والخمور وأعضاء الإنسان وهذا يسبب ضرراً بالأفراد والمجتمع .

[٧] ـ معاملات خفية مع أعداء الوطن وهذا يسبب خيانة وطنية مثل التعامل مع إسرائيل والغرب ومن يوالونهم .

[٨] ـ التكسب من ا لوظيفة بطريق غير قانونى وغير شرعى وهذا محرم شرعاً ومُحَرّم قانوناً .

[٩] ـ استخدام إمكانيات العمل لأغراض شخصية مثل السيارات والعقارات ... وجميع صيغ التكسب غير المشروع وغير القانونى الأخرى .

ـ الآثار السلبية للاقتصاد الخفى .

يحقق الاقتصاد الخفى إيرادات ومكاسب كبيرة لفئة من الناس ولكن على حساب الدخل القومى كما أنه يؤدى إلى آثار اجتماعية سيئة جداً من أبرزها زيادة الغنى غناً وزيادة الفقير فقراً كما يسبب سوء توزيع الموارد بين الناس ، وهذا هو عين الظلم الاجتماعى والاقتصادى الذى حرمة الإسلام ، كما تتدخل أحياناً مافيا الاقتصاد الخفى فى دواليب النظام الحاكم حتى يتمكنوا من تسهيل أعمالهم الخفية بطرق غير شرعية وتجنيد بعض العاملين لحسابهم من خلال الرشوة والإكراميات وما فى حكم ذلك وهذا يحدث الفساد السياسى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ـ من أبرز أسباب الاقتصاد الخفى من المنظور الإسلامى هى .

[١] ـ الفساد الدينى (العقائدى) حيث أن هؤلاء قد طمس الله على قلوبهم وأصبحت قاسية بل أشد قسوة من الحجارة ولا يخافون الله .

[٢] ـ الفساد الأخلاقى وانتشار الخيانة والسرقة والكذب والنصب والتدليس والغرار والجهالة وأكل أموال الناس بالباطل والتعامل فى الحرام الخبيث .

[٣] ـ الفساد السلوكى ومن أبرزها الأنانية والذاتية وتطبيق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة والكراهية والحقد .

[٤] ـ الفساد الإدارى والبيروقراطية والتعقيد وسوء تأويل وتفسير القانونين .

[٥] ـ الفساد السياسى وتسرب من لا قيم ولا أخلاق ولا وطنية لهم إلى المناصب الأساسية للدولة .

ـ المنهج الإسلامى لمعالجة مشكلة الاقتصاد الخفى (غير المشروع) .

لأى مشكلة أسباب ، ولعلاج مشكلة الاقتصاد الخفى غير المشروع يجب دراسة الأسباب ، وسد كافة الأبواب التى تؤدى إليه .. وتطبيق القاعدة الشرعية : " سد الذرائع مقدما على طلب المصالح " .

وفى ضوء تحليل أسباب الاقتصاد الخفى السابق بيانها يكون العلاج الإسلامى على النحو التالى:

[١] ـ التربية والتوعية الدينية والالتزام بالأخلاق والمثل ، ولقد أخذت الاقتصاديات المتقدمة فى أمريكا وأوربا بهذا المنهج وطبقت المقولة التى تقول : " قيم وأخلاق حسنة تؤدى إلى اقتصاد حسن " .

ويمكن الاستعانة بمفاهيم ومبادئ الأديان السماوية فى هذا المجال وتسخير كافة وسائل الإعلام فى هذا الخصوص ووضع ميثاق لقيم وأخلاق رجال الإعلام .

Good Ethics : Good Economics

[٢] ـ القدوة الحسنة فى المراكز القيادية ، فإذا صلحت الرأس صلح الجسد ... ولقد أثبت الدراسات أن القيادة الحسنة تحقق الأعمال الحسنة ، والقيادة السيئة تقود إلى معاملات سيئة .. ومن الأقوال الشائعة فى هذا الخصوص : " إذا كان رب البيت بالدف ضارباً ... فشيمة أهل البيت الرقص " ... ولذلك يجب على ولى الأمر الحاكم (السلطان) أن يحسن اختيار القيادات فى مواقع الأعمال وأن يكون معيار الاختيار : القيم والأخلاق والكفاءة الفنية ، ونموذج سيدنا يوسف عليه السلام واضح وجلى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[٣] ـ إعادة النظر فى التشريعات الوضعية المتعلقة بالعقوبات ضد من يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ومنهم المتعاملون فى الاقتصاد الخفى .. بأن تكون رادعة وقوية ، والاقتباس من نظام العقوبات فى الإسلام فى هذا المجال مع توافر شروط التطبيق .

[٤] ـ إعادة النظر فى السياسات والقوانين الاقتصادية التى تحكم المعاملات وسد كافة الثغرات التى تؤدى إلى الاقتصاد الخفى غير الشرعى والاستفادة من النظم المالية والاقتصادية والإسلامية فى هذا المجال .

ـ كيفية تطهير الأرزاق من المكاسب الحرام الناجمة عن معاملات الاقتصاد الخفى .

يؤكد فقهاء الإسلام على أن المكاسب الناجمة من الاقتصاد الخفى غير الشرعى حرام ـ لأنه اكتسب بطرق غير شرعية ومخالفة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، ولمن أرداء أن يُطَهِّر نفسه قبل أن يَلْقى الله ويحاسب الحساب الأليم العسير فى الآخرة فعلية بالآتى :

أولاً : لابد من التوبة الصادقة من ذنوب اكتساب الأموال القذرة التى جنيت من الاقتصاد الخفى ، مع الإيمان الراسخ بأن ذلك يعتبر من كبائر الذنوب .

ثانياً : الاستغفار بنية خالصة وتبتل وتضرع إلى الله أن يكفر عنه هذه الذنوب والعزم الأكيد الصادق على عدم العودة إلى المعاملات الحرام مرة أخرى .

ثالثاً : التخلص من المكاسب الحرام القذرة التى تم الحصول عليها على النحو التالى :

[أ] ـ مكاسب حرام لذاتها : يتم التخلص منها فى وجوه الخير العامة مثل مكاسب التعامل فى المخدرات والخمور والبغاء .

[ب] ـ مكاسب حرام نَتَجت من الاعتداء على الغير : ترد لأصحابها إذا كانوا معروفين أو التخلص منها فى وجوه الخير .

[جـ] ـ مكاسب حرام اكتسبت بطرق غير قانونية : مثل التهرب من الضرائب والرسوم والسرقة والاختلاس من المال العام ... ترد إلى خزانة الدولة أو تنفق فى وجوه الخير العامة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا كان رجل الأعمال يريد أن يتصالح مع الله ، فباب التوبة والاستغفار مفتوح دائماً ... ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى :﴿ إلاّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾ [الفرقان : (٧٠ ـ ٧١)] ، ويقول الرسول (ﷺ) : " التائب من الذنب كمن لا ذنب له " (الطبرانى) .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

ـ مدلول الاقتصاد الخفى ونظرة الإسلام إليه ٢
من نماذج معاملات الاقتصاد الخفى التى يجب تجنبها لأنها مخالفة لأحكام ومبادىء الشريعة الإسلامية ٢
ـ الآثار السلبية للاقتصاد الخفى ٣
ـ من أبرز أسباب الاقتصاد الخفى من المنظور الإسلامى هى ٤
ـ المنهج الإسلامى لمعالجة مشكلة الاقتصاد الخفى (غير المشروع) ٤
ـ كيفية تطهير الأرزاق من المكاسب الحرام الناجمة عن معاملات الاقتصاد الخفى ٥
فهرس المحتويات.....٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com